المصدر: الاهرام
التاريخ : ٢٠٠٨/٦/٢٨

الطفل فى المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان..

★ تخيلوا معى من هو كلمة الله.. كلمة حق وصدق رضيعا على كتفى أمه أطهر نساء الخلق.. راكبا حمارا يقوده يوسف.. النجار البسيط. خرج الثلاثة فى جنح الليل هربا من هيرودس وجنوده خشية أن يذبحوا كلمة الله .

كيف كانت بداية الرحلة المقدسة إلى تراب مصر.. ملاذ كل مظلوم وموطن كل حر ومغاث كل ملهوف وباب كل من يطلب الرحمة والعدل والحق والسلام؟

هذا هو دورها فى هذه الدنيا.. وهذا هو قدرها. ولم تتنازل عنه يوما .. ولن تتنازل عنه يوما.. ولو كره الحاقدون الكارهون الضالون.

قد تهجع يوما أو بعض يوم إلى ظل خميلة أو عرجون نخلة ظليلة لالتقاط الأنفاس واستعادة العافية ولكنها سرعان ما تقف على قدميها وتصلب طولها مرة أخرى.. لتقود مركبة التاريخ.. وتنير الدنيا ضياء وحبا ودينا ودنيا من جديد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

تخيلوا معى من هو كلمة الله.. كلمة حق وصدق رضيعا على كتفى أمه أطهر نساء الخلق.. راكبا حمارا يقوده يوسف النجار البسيط.

خرج الثلاثة فى جنح الليل هربا من هيرودس وجنوده خشية أن يذبحوا الطفل.. خشية أن تتحقق نبوءة المجوس بأن تكون نهاية دولة اليهود على يديه..

وكما يقول فتحى سعيد فى كتابه: «رحلة العائلة المقدسة فى أرض مصر»:

ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له (متى ٢:١ - ٢)

والمجوس هم علماء من بلاد فارس (إيران حاليا) المشتغلون بالفلك وقد رأوا فى بلادهم نجما غير عادى يتألق فى السماء فتتبعوا ذلك النجم وجاءوا إلى أورشليم فى موكب كبير مهيب يبحثون عن المولود فى بيت لحم ليقدموا له الإكرام اللائق به.

وكان يجلس على عرش فلسطين فى ذلك الوقت هيرودس الملك، فلما علم بأمر المجوس وبالمولود الذى يقولون إنه سيكون ملك اليهود. اضطرب هيرودس الملك وجميع أورشليم معه فقد خاف على عرشه فجمع (هيرودس) كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم: اين يولد المسيح؟

قالوا له : فى بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبى. وانت يابيت لحم أرض يهوذا لست صغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل (متى ٢:٣ - ٦).

حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ومتى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا واسجد له. فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى. فلما رأوا النجم فرحوا عظيما جدا. وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه. فخروا وسجدوا له. ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا (متى ٢:٧ - ١٢) فالذهب يرمز إلى أنه ملك، واللبان يرمز إلى أنه كاهن، والمر يرمز إلى الالم الذى سيكابده كمخلص وفاد.

ثم أوحى الله إلى المجوس الا يعودوا إلى هيرودس فانصرفوا من طريق آخر إلى بلادهم.

وبعد أن غادر المجوس أورشليم إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه. فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر. (متى ٢:١٣ - ١٤).

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أما هيرودس فقد غضب بسبب عدم عودة المجوس إليه، بعد أن كان قد طلب إليهم ذلك، وأراد أن يتخلص من الصبى الذى تصور أنه سيزاحمه فى ملكه، وإذ لم يكن يعرفه بالتحديد، أمر بقتل جميع الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها من ابن سنتين فأقل، وكانوا عدة آلاف وقيل إنهم بلغوا مائة وأربعة وأربعين ألفا، فكانوا أول الشهداء فى تاريخ المسيحية، وبهذه المذبحة تمت نبوءة ارميا النبى القائل: «صوت سمع فى الرامة. بكاء وعويل مرير. راحيل تبكى على أولادها..» (راميا: ٣١: ١٥). وقد كان صوت البكاء والعويل الذى فى «بيت لحم» مسموعا فى «الرامة» لأنها كانت قريبة منها كما كان قبر راحيل قريبا منها وكانت أمهات كثير من الأطفال المذبوحين من سلالتها

الطريق إلى مصر

ولقد توقف موكب الرسالة والمحبة والنبوة فى محطات كثيرة صارت فيما بعد مزارات مقدسة لكل من آمن بالمسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة.

كانت هناك ثلاثة طرق يمكن أن يسلكها المسافر من فلسطين إلى مصر فى ذلك الزمان وذلك حسبما هو موضح بالمصادر التاريخية القبطية وأهمها ميمر البابا ثيوفيلس الثالث والعشرين من باباوات الاسكندرية (٣٨٤ - ٤١٢م) ومنها السنكسار القبطى وكتب أخرى.

وتدل هذه المصادر على أن العائلة المقدسة عند مجيئها من فلسطين إلى أرض مصر لم تسلك أيا من الطرق الثلاثة المعروفة فى ذلك الزمان لكنها سلكت طريقا آخر خاصا بها وهذا بديهى لأنها هاربة من شر هيرودس فلجأت إلى طريق غير الطرق المعروفة وهذا الطريق هو الذى ذكره السنكسار القبطى أخذا عن رؤيا البابا ثيوفيلس التى سجلها فى ميمره المعروف.

دخلت العائلة المقدسة مصر عن طريق صحراء سيناء من الناحية الشمالية من جهة الفرما (بين مدينتى العريش وبورسعيد).

١ - دخلت العائلة المقدسة مدينة بسطا وهى الآن تسمى تل بسطا بالقرب من مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية وتبعد عن مدينة القاهرة نحو مائة كيلو متر من الشمال الشرقى وهناك انبع المسيح عين ماء وكانت هذه المدينة مليئة بالأوثان حيث كانت عبادة الأوثان منتشرة فى أرض مصر وعند دخول العائلة المقدسة مدينة بسطا سقطت الأوثان على الأرض فأساء سكان تلك المدينة معاملة العائلة المقدسة فتركت تلك المدينة وتوجهت العائلة المقدسة نحو الجنوب حتى وصلت إلى بلدة مسطرد.

٢ - غادرت العائلة المقدسة تل بسطا متجهة نحو الجنوب حتى وصلت بلدة مسطرد وتسمى المحمة (وهى تبعد عن مدينة القاهرة بمسافة لاتزيد على ١٠كم تقريبا).

والكنيسة الحالية المقامة على نفس المكان تسمى باسم كنيسة السيدة العذراء بمسطرد، ويرجع تاريخ تدشينها وتكريسها إلى القرن الثانى عشر الميلادى (سنة ١١٨٥ ميلادية).

٣ - أما المنطقة المقام فيها الكنيسة فهى إحدى محطات العائلة المقدسة، مرت بها فى طريقها وفيها انبع المسيح له المجد نبع ماء لايزال موجودا إلى اليوم وهو نبع مبارك. لأن له بركة شفاء من الأمراض. وتعيد الكنيسة القبطية بتذكار تدشين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كنيسة السيدة العذراء بمسطرد (المحكمة) فى اليوم الثامن من شهر بؤونة القبطى وفى عودة العائلة المقدسة مرت أيضا على مسطرد.

٤ ـ ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالا نحو الشرق إلى مدينة بلبيس وحاليا هى مركز بلبيس التابع لمحافظة الشرقية وتبعد مدينة بلبيس عن مدينة القاهرة بمسافة نحو ٥٥كم تقريبا واستظلت العائلة المقدسة عند شجرة عرفت باسم «شجرة العذراء مريم» وصارت بلبيس اسقفية فيما بعد ومرت العائلة المقدسة على بلبيس أيضا فى رجوعها ـ ويوجد حاليا كنيسة بمدينة بلبيس على اسم الشهيد العظيم مارجرجس.

٥ ـ ومن بلبيس رحلت العائلة المقدسة شمالا بغرب إلى بلدة منية سمنود وكانت تعرف باسم «منية جناح» ومنها عبرت نهر النيل إلى مدينة سمنود داخل الدلتا واستقبلهم شعبها استقبالا حسنا فباركهم السيد المسيح.

وبنيت فى سمنود كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء، ثم تهدمت فبنيت على أنقاضها (حاليا) كنيسة باسم السيدة العذراء والشهيد أبانوب بسمنود.

ويوجد مقصورة بكنيسة السيدة العذراء بسمنود تحوى رفات الشهيد أبانوب فى المنطقة التى تحوى رفات ثمانية آلاف شهيد أيضا ويوجد بالكنيسة أيضا ماجور كبير من حجر الجرانيت يقال إن السيدة العذراء عجنت به أثناء وجودها بسمنود، ومازال هذا الماجور موجودا بالكنيسة حتى الآن ويوضع فيه الماء المتبقى من التناول ليأخذها الناس بركة لهم ـ كما توجد بئر مقدسة ربما تكون العائلة المقدسة قد شربت منها وتحدث بعض المعجزات ببركة ماء هذه البئر.

٦ ـ ومن مدينة سمنود رحلت العائلة المقدسة شمالا بغرب إلى منطقة البرلس حتى وصلت مدينة سخا، وهى حاليا فى محافظة كفر الشيخ ـ وقد بنيت فى سخا كنيسة قديمة على اسم السيدة العذراء ـ وقد ظهر قدم السيد المسيح على حجر ومنه أخذت المدينة اسمها بالقبطية وقد أخفى هذا الحجر زمنا طويلا خوفا من سرقته فى بعض العصور، وإذا كانت العائلة المقدسة قد سلكت الطريق الطبيعى أثناء سيرها من ناحية سمنود إلى مدينة سخا، فلابد أنها تكون قد مرت على كثير من البلاد التابعة لمحافظتى الغربية وكفر الشيخ، خاصة مدينة المحلة الكبرى.

٧ ـ ومن مدينة سخا عبرت العائلة المقدسة نهر النيل (فرع رشيد) إلى غرب الدلتا وتحركت جنوبا إلى وادى النطرون، ومن التقاليد الموروثة اختفاء السيدة العذراء مريم بالطفل يسوع فى هذا الوادى أثناء هروبها إلى أرض مصر. وقصة تبريك السيد المسيح أركان الوادى الأربعة، وقد حرص بطاركة الإسكندرية على المجىء إلى أديرة وادى النطرون لعمل الميرون المقدس ووادى النطرون من أشهر برارى مصر التى كانت ومازالت موطن النسك والعبادة.

٨ ـ ومن منطقة وادى النطرون ارتحلت العائلة المقدسة جنوبا ناحية مدينة القاهرة وعبرت النيل إلى الناحية الشرقية متجهة ناحية المطرية وعين شمس.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

٩ ـ اتجهت العائلة المقدسة إلى منطقة المطرية وهى بالقرب من عين شمس وتبعد عن القاهرة بنحو عشرة كيلومترات، ويمكن الوصول إليها من القاهرة عن طريق المواصلات الداخلية كالأتوبيس ومترو الأنفاق ـ وعين شمس هى «مدينة الشمس» المذكورة فى الكتاب المقدس فى سفر نبوة اشعياء (١٩: ١٨)، أو هى «هليوبوليس» كما سماها اليونان وهى يعينها المدينة التى عرفت فى العهد القديم وفى العهد الغرعونى باسم «أون».

وكان عين شمس مشهورة فى مصر القديمة بجامعتها الشهيرة العريقة. وقد تزوج يوسف الصديق من أسنات بنت فوتى فارع كاهن أون (سفر التكوين ٤١: ٤٥، ٥٠، ٤٦: ٢٠).

وفى جامعة عين شمس أو أون «كانت يدرس كهنة المصريين القدماء وأبناء الملوك والأمراء وكبار الشخصيات جميع المعارف الدينية والروحية والفلسفية وشتى العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء والفلك واللغات... وفيها أقام «أفلاطون» الفيلسوف فترة من شبابه واستلهم فيها فلسفته الخالدة... وفيها تربى موسى النبى رئيس الأنبياء.

وفى زمن رحلة العائلة المقدسة، كانت عين شمس أو «أون» يسكنها أيضا عدد كبير من اليهود، وكان لهم بها معبد يسمى معبد أوبيت «أونياس».

١٠ ـ وفى المطرية، استظلت العائلة المقدسة تحت شجرة تعرف إلى اليوم بشجرة مريم، وهناك انبع الرب يسوع عين ماء وشرب منه وباركه، ثم غسلت فيه السيدة العذراء ملابس الطفل يسوع وصبت الماء على الأرض فنبت فى تلك البقعة نبات عطرى ذو رائحة جميلة هو المعروف بنبات البلسم أو البلسان يضيفونه إلى أنواع العطور والأطياب التى يصنعون منها الميرون المستخدم فى الطقوس الكنسية.

١١ ـ ومن المطرية إلى مصر القديمة، حيث توجد حتى الآن مغارة العائلة المقدسة بكنيسة أبى سرجة) المعادى، حيث عدت العائلة المقدسة فى النيل واتجهت جنوبا حيث وصلت إلى البهنسا وأقامت بشرقى البهنا، وسمى المكان بيت يسوع ومكانه الآن قرية صندفا التابعة لمركز بنى مزار، ثم ذهبوا إلى جبل الطير ـ الأشمونين ـ ديروط ـ القوصية (قوسقام) ـ مير ـ جبل قوسقام، حيث يوجد الآن دير السيدة العذراء المعروف بالدير المحرق

وهناك مكثت العائلة المقدسة أكثر من ستة أشهر كاملة.

هذه هى رحلة العائلة المقدسة كتبها وأرخها فتحى سيد فى كتابه الشامل الجامع.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أتقى البشر

حقيقة الأنبياء أنهم خير البشر. كما يقول الزميل الكبير أحمد بهجت..

ولكنهم فى نهاية الأمر بشر يمشون فى الأسواق ويأكلون الطعام ويعيشون ويموتون.

لا يختارون أنفسهم للرسالة. لا يصلون إلى الرسالة نتيجة كسب وقصد وجهد أو اختيار.. إنما يختارهم الله.

يختارهم لعلمه السابق أنهم أتقى من فى الوجود، وأفضل. تستوى فى ذلك عقولهم وقلوبهم.

بعدها يبعث إليهم رسالاته.

ويضيفهم الله إلى نفسه تشريفا وتكريما. فيسميهم رسل الله.

وهم لا يخطئون فيما يرسلهم به الله.

ان الكون كله هو كتاب الله المفتوح، وهو كتاب يمتلئ بالكلمات المعجزة الدالة على وجوده سبحانه.

والإنسان ذاته - بالنسبة لذاته - آية من آيات الله، وكلمة من كلماته تلزمه الحجة.

ولو طاف الإنسان داخل نفسه، أو ساح بذهنه فى آفاق الكون.. لرأى كلمات الله وآياته. ولو استجمع الإنسان نقاءه الداخلى وأنعش به قدرته على التذكر، فسوف يرى كلمات الله يوم أخذ العهد على آدم وذريته.

قال تعالى:

(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى..) «سورة الأعراف».

وإذن تلزم الإنسان الحجة.

لماذا يرسل الله تعالى أنبياءه إلى الناس إذا كان قد ألزمهم الحجة؟

الجواب أن أنبياء الله تعالى جميعا رحمة.

لا يعامل الله عباده بالعدل وحده. لأن الله أكبر.

إنما يعاملهم بالرحمة.

والأنبياء هم الرحمة.

يبعث كل نبى رحمة لقومه أو زمانه.

حتى إذا جاء آخر الأنبياء جاء رحمة للعالمين.

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) «سورة الأنبياء».

.....

.....

الطفل فى المغارة.. وأمه مريم عينان يبكيان.. يبكيان لأجل من تشردوا.. لأجل أطفال بلا مساكن!

عشت يا عيسى وجيها فى الدنيا والآخرة.. وكلمة الله إلى خلقه.. □

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية